

## هدية الملوك السحرة<sup>1</sup>

بقلم فيديل كاسترو

<http://www.kanaanonline.org/articles/01399.pdf>

\*\*\*

البرقيات الصحفية نقلت النبأ مسبقاً. في السادس من كانون الثاني/يناير عُلم بأن بوش سيتوجّه إلى الشرق الأوسط حال انتهائه من عطلة المقدّسة بمناسبة أعياد الميلاد. إنما سيتوجه إلى أرض المسلمين، اصحاب ثقافة وديانة اخرى، كقرهم الأوروبيون الذين اعتنقوا المسيحية، وأعلنوا الحرب عليهم في القرن الحادي عشر بعد الميلاد.

المسيحيون أنفسهم تناحروا فيما بينهم، سواءً كان لدوافع دينية أو بسبب مصالح قومية. كان يبدو وكأن التاريخ قد تجاوز كل ذلك ليصبح جزءاً من الماضي، ولم تبقَ إلا المعتقدات الدينية التي يجب احترامها، ومعها أساطيرها وتقاليدها، أكانت مسيحية أم لا.

في هذا الجانب من المحيط الأطلسي، كما في أنحاء كثيرة من العالم، كان الأطفال ينتظرون بشغف حلول السادس من كانون الثاني/يناير من كل عام وهم يجمعون ما يكفي من الأعشاب لجمال الملوك السحرة. وأنا أيضاً شاركتُ في تلك الآمال خلال السنوات الأولى من حياتي، طالباً المستحيل من الملوك المحظوظين، وذلك بنفس الاوهام التي يأمل بها بعضٌ من أبناء وطننا بحدوث معجزات على يد ثورتنا العنيدة والأبيّة.

لا أتمتع بالقدره البدنية اللازمة لكي أتحدث مباشرة إلى أبناء بلديتي، حيث رشّحتني لانتخابات يوم الأحد القادم. إنما أنا أفعل ما أستطيع: الكتابة. يشكل هذا الأمر بالنسبة لي تجربة جديدة: فليس الحال سواء بين التكلّم والكتابة. اليوم، وقد بتُّ أتمتع بمزيد من الوقت لاستقاء الأنبياء والتمعنّ حول ما أراه، لا يكاد الوقت يكفي من أجل للكتابة.

<sup>1</sup> المقصود "عيد الظهور"

ما هو حسن يكون متوقّعا ومُنْتَظَراً، وما هو سيئ يكون مفاجئاً ومُحْبَطاً للمعنويات. أن تكون مستعداً لما هو أسوأ إنما هو الطريقة الوحيدة للاستعداد للأفضل.

يبدو خيالياً أن نرى بوش، بطل فتوحات المواد الأولية وموارد الطاقة الخاصة بشعوب أخرى، يرسم مسارات للعالم دون أن يهمله كم من مئات الآلاف أو من ملايين الأشخاص يموتون وكم من سجن سرّي ومركز للتعذيب يجب فتحه لكي يحقق أهدافه. "ستون ركن مظلم أو أكثر من الكوكب" يجب أن تتوقع هجمات وقائية ومفاجئة. وعلينا ألا نغلق أعيننا، فكوبا هي أحد هذه الأركان المظلمة. هذا ما قاله حرفياً زعيم الإمبراطورية ونبه الأسرة الدولية له في أكثر من مناسبة.

من "أبو ظبي"، عاصمة الإمارات العربية المتحدة، على بعد أميال قليلة من إيران، أفادت وكالة "أسوشيتد برس" (أ.ب) أن "الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش قال يوم الأحد بأن إيران تهدد الأمن العالمي، وأن من واجب الولايات المتحدة وحلفائها العرب أن يتكاتفوا لمواجهة الخطر قبل فوات الأوان.

واتهم بوش حكومة طهران بتمويل إرهابيين وبتقويض الاستقرار في لبنان وبارسال أسلحة إلى الميليشيا الدينية الأفغانية، طالبان. وأضاف بأن طهران تسعى لترهيب جيرانها بخطابها العدائي، وتتحدى الأمم المتحدة وتزعزع استقرار المنطقة برمتها، وذلك عبر رفضها توضيح نواياها من وراء برنامجها النووي.

وقال بوش: "أن تحركات إيران تهدد أمن الدول في كل مكان. وعليه فإن الولايات المتحدة تقوم بتعزيز التزامها القديم في مجال الأمن مع أصدقائها في الخليج الفارسي وتحث أصدقائها على مواجهة هذا الخطر.

تحدّث بوش في فندق "قصر الإمارات" (Emirates Palace) الذي أقيم بتكلفة ثلاثة مليارات دولار، وحيث تبلغ تكلفة الإقامة في الجناح 2450 دولاراً لليلة الواحدة. يبلغ طوله كيلومتراً واحداً ويتمتع بشاطئ للسباحة من الرمال البيضاء يبلغ طوله 1.3 كيلومتر. واستناداً لما ذكره المتحدث باسم سفارة الولايات المتحدة لدى الإمارات العربية المتحدة، فإن كل حبة رمل من هذا الشاطئ تم استيرادها من الجزائر".

الجميع يعلم بأنه يريد حرباً على إيران. وبالإضافة لذلك يعد ببقاء القوات الأمريكية عشر سنوات أخرى على الأقل في العراق.

أسوأ ما في الأمر هو عجز المرشحين الرئيسيين عن الحزبين المدعوين لخلافته عن التصحيح. فأى منهم لا يجرؤ أن يرمي هذه الممارسة الإمبراطورية ولو بببتلة وردة، وذلك بحجة مكافحة الإرهاب، الذي أنبته هذا النظام نفسه ونزعت الاستهلاكية الهائلة وغير القابلة للديمومة، سعياً منه لتحقيق المستحيل: النمو المستدام، التوظيف الكامل وبدون تضخم.

ليس هذا ما حلم به مارتين لوثير كينغ ومالكولم إكس وأبراهام لينكولن، ولا أي من الحالمين العظام الذين أنجبتهم البشرية على مدى تاريخها المحفوف بالمخاطر.

من يملك الوقت لقراءة وتحليل الأنباء التي ترد عبر شبكة إنترنت يستطيع أن يتحقق من التناقضات التي تم اقتياد العالم إليها.

في مقالة نشرتها "إلبايس" (El País)، وهي صحيفة إسبانية واسعة الانتشار، يتم تناول موضوع أسعار المواد الغذائية والوقود. كتب المقالة بول كندي، وهو أستاذ في التاريخ ومدير الدراسات الدولية المتعلقة بشؤون الأمن في جامعة ييل الأمريكية، وهو أحد المثقفين الأكثر نفوذاً في بلده، ويؤكد فيها بأن "النفط هو أكبر عناصر تبعية الولايات المتحدة للقوى الخارجية".

في أواسط القرن الثامن عشر كانت بريطانيا تتمتع بأكبر صناعة للسفن الشراعية في العالم، وفي الوقت الذي كانت فيه مصانعها للسفن تطرح للبيع مئات، بل وآلاف، السفن الشراعية سنوياً، كان يقوم مخترعون بريطانيون بابتكار الآلة البخارية، التي تُنتج كميات هائلة من الطاقة المؤمّنة من آبار الفير المميزة في جنوب ويلز. المحرك البخاري والفحم دفعا تطور الإمبراطورية البريطانية على مدار 150 سنة أخرى".

ثم يشير في موضع لاحق إلى وجهة النظر التي هي أكثر ما يهمننا: علاقة التبعية المتبادلة المضطربة بين النفط والمواد الغذائية. الأسباب معروفة جداً: الطلب الهائل جداً على الطاقة عند الاقتصاديات الآسيوية الكبرى وعجز أغنى البلدان -الولايات المتحدة واليابان وأوروبا- عن تقليص استهلاكها.

"لكن الطلب العالمي على الصوغة (فول الصويا) يرتفع أيضاً بوتيرة متسارعة، ومرد ذلك بشكل أساسي ارتفاع استهلاكه في آسيا. عشرات الملايين من الخزائير الموجودة في الصين تلتهم كميات من الصوغة سنوياً لا يتصورها العقل. أسعار الصوغة ارتفعت بنسبة 80% هذه السنة (كانون الأول/ديسمبر 2007) بالمقارنة مع أسعارها في العام الماضي (2006).

لن يحالف اليقين احداً، لكن المنطق يقول بأن التزايد المتواصل لعدد سكان العالم وارتفاع الدخل الفعلية لأكثر من ألفي مليون شخص في السنوات الأخيرة سيترجمان نفسيهما في طلب أكبر على البروتينات -المزيد من لحم البقر، المزيد من لحم الخنزير ومن الدجاج والسّمك-، وبالتالي المزيد من الحبوب لتغذية الحيوانات".

كان بوسع الأستاذ في جامعة ييل أن يضيف: المزيد من البيض ومن الحليب، إذ أن إنتاجهما يحتاج لكميات كبيرة من العلف. ولكن صاحب المقالة ينوّه لاحقاً إلى مقالة أخرى منشورة في صحيفة "ذي إكونوميست" (The Economist)، لسان الحال الرئيسي للدوائر المالية الأوروبية، ويصفها بأنها "ممتازة، مفصّلة جداً ومُرعبة"، تحمل عنوان "نهاية الوجبات السريعة". المجلة بدأت عرضها لأسعار المواد الغذائية منذ عام 1845، ومؤشر الأسعار هو الأكثر ارتفاعاً منذ 162 سنة".

لا شك بأن البرازيل، التي أصبحت مكتفية ذاتياً من ناحية الوقود وتتمتع باحتياط وافر، ستجود من هذه المعضلة. تبلغ مساحتها، الواقعة على هضبة يتراوح ارتفاعها بين 300 و900 متراً، 77 ضعف مساحة كوبا.

هذه الجمهورية الشقيقة تتمتع بثلاثة مناخات مختلفة. تزرع وتجنى هناك كل المواد الغذائية تقريباً. لا تعاني من الأعاصير الاستوائية. يمكنها إلى جانب الأرجنتين أن تشكل خشبة خلاص شعوب أمريكا اللاتينية والكاريبي، بما فيها المكسيك، مع أنهما لا تستطيعان أن تشكلا أبداً ضماناً أمن لها، لأنها تقع تحت رحمة إمبراطورية لا تسمح بهذه الوحدة.

الكتابة، كما يعرف كثيرون، هي أداة تعبيرية تفتقد لسرعة ونبرة وإيمائية اللهجة المحكيّة، التي لا تحتاج لعلامات ترقيم. تستلزم من الوقت ما يزيد بعدة أضعاف الوقت المتوقع. فضيلة الكتابة أنك تستطيع القيام بها في أي ساعة من النهار أو الليل، ولكنك لا تعرف من سيقراً نصّها، وقليلون جداً هم من يقوون على مقاومة الرغبة بتحسينه وإدراج ما لم يقوله وبشطب جزء مما قالوه؛ تنتابك في بعض الأحيان رغبة بإلقاء ما كتبت في سلة المهملات لأن محدثك ليس أمامك. كل ما فعلته طوال حياتي هو نقل أفكار عن الأحداث كما أراها، منذ أحلك لحظات الجهل وحتى هذا اليوم الذي أتمتع فيه بمزيد من الوقت والإمكانات التي تتيح لي ملاحظة الجرائم التي يجري ارتكابها تجاه كوكبنا وتجاه جنسنا.

أنصح الثوريين الأصغر سناً بشكل خاص بأقصى درجة من محاسبة الذات وبالانضباط الحديدي، بعيداً عن الطمع بالسلطة والغرور والتباهي بالذات؛ اتقاء الأساليب والآليات البيروقراطية؛ عدم الوقوع في الشعارات المجردة؛ أن يروا في الإجراءات البيروقراطية أسوأ عشرة أمامهم؛ ان يستخدموا العلوم والمعلوماتية من دون الوقوع في اللهجة التقنية المصطنعة وغير المفهومة التي تتبعها النخبة المتخصصة؛ أن يكون عندهم تعطش للمعرفة وأن يكونوا مثابرين وأن يمارسوا التمارين البدنية وكذلك الذهنية.

في العصر الجديد الذي نعيشه، لا تنفع الرأسمالية ولا حتى كأداة. إنها أشبه ما تكون بشجرة متعفّنة الجذور، لا ينبت منها إلا أسوأ أشكال الفردية والفساد واللامساواة. كما لا ينبغي إهداء شيء للذين يستطيعون الإنتاج ولا ينتجون أو ينتجون القليل. فلنجزى فضيلة الذين يعملون بأيديهم وبذكائهم.

ما دما قمنا بتعميم الدراسات العليا، من واجبنا أن نعمم العمل الجسدي البسيط، الذي يساعد على الأقل في تنفيذ جزء من الاستثمارات التي يطالب بها الجميع، كما لو كان هناك احتياط وافر من العملة الصعبة ومن قوة العمل، احترسوا بشكل خاص من الذين يختلقون شركات تابعة للدولة تحت اية حجة كانت لكي يقوموا بعد ذلك بإدارة الأرباح السهلة، كما لو أنهم كانوا رأسماليين منذ ولادتهم، ليزرعوا بذلك الأنايية والامتيازات.

ما لم نعي هذه الحقائق، لا يمكننا القيام بأي جهد للحيلولة "في الوقت المناسب"، كما قال (خوسيه) مارتية، دون تمكّن الإمبراطورية، التي شهد تطورها لأنه عاش في أحشائها، من تدمير مصائر البشرية.

علينا أن نكون ديالكتيكيين ومبدعين. ليس هناك من خيار آخر ممكن.

ولنتوجّه بالشكر لبوش على دوره كملك ساحر بزيارته للمكان الذي ولد فيه ابن النجّار يوسف، هذا إذا كان هناك من أحد يعرف بدقة مكان المَعْلَف الفقير الذي أتى فيه الناصريّ إلى العالم. زعيم الإمبراطورية يحمل كهدية هذه المرّة عشرات الآلاف من ملايين الدولارات للبلدان العربية لكي تشتري أسلحة تخرُج من المجمع العسكري الصناعي؛ وفي ذات الوقت، مقابل كل واحد من الدولارات التي يزوّد بها هذه البلدان، يزود دولة إسرائيل بدولارين لتسليحها ، حيث تؤكد وكالة الأمم المتحدة المعنية أن 3.5 مليون فلسطيني قد حُرّموا من حقوقهم أو طُردوا من تلك الأراضي.

وسيلته الهاجسيّة هي تهديد العالم بحرب نوويّة. ليس إلا هو من يقدر على حمل هدية الملوك السحرة هذه.

فيدل كاسترو روز

14 كانون الثاني/يناير 2008

الساعة: 7:12 مساءً

- ترجمة فريق الترجمة الكوبي
- هافانا كوبا

- 
- الآراء الواردة في المقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي إدارة الموقع أو محرري "كنعان".
  - عند الاقتباس أو إعادة النشر، يرجى الإشارة الى "كنعان".
  - يرجى ارسال كافة المراسلات والمقالات الى عنوان "كنعان" الإلكتروني: [mail@kanaanonline.org](mailto:mail@kanaanonline.org)

- Please write to us or send your contributions to: [mail@kanaanonline.org](mailto:mail@kanaanonline.org).
- To visit Kana'an website, please go to: <http://www.kanaanonline.org>.
- To subscribe to our mailing list, please send a blank e-mail message to [arabic-join@kanaanonline.org](mailto:arabic-join@kanaanonline.org).
- To unsubscribe from our mailing list, please send a blank e-mail message to [arabic-leave@kanaanonline.org](mailto:arabic-leave@kanaanonline.org).